شهادة

هكذا تحدث كمال جنبلاط

في كتابه الصادر عن «المركز الثقافي العربي»، يُبحر الباحث اللبناني خليل أحمد خليل في أفكار «المعلّم» وطروحاته وفلسفته وثورته، وسعيه لتحقيق نظام علماني في لبنان

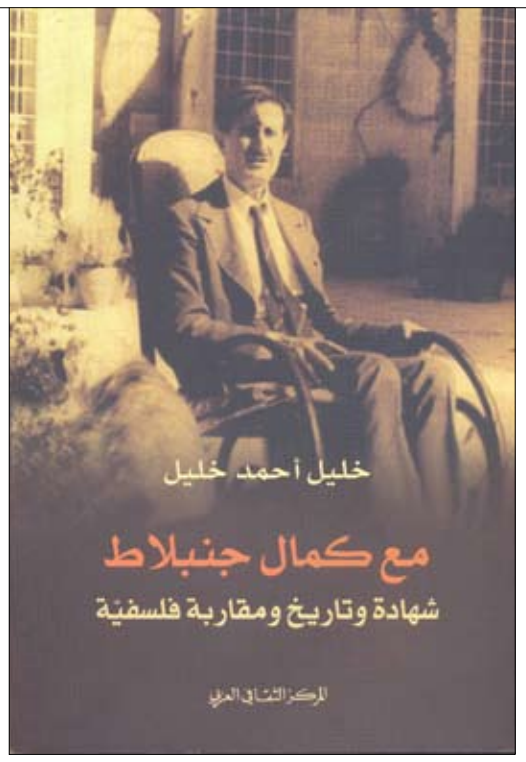

ريتا فرج

شهادة حياة، سيرة ذاتية لشاهد يتماهى مع موضوعه، مقاربة فلسفية لتاريخ المعلم، كل هذا وغيره نجده في كتاب «مع كمال جنبلاط» (المركز الثقافي العربي). فيه يُبحر الباحث والمؤلف خليل أحمد خليل أبعد مما كانت عليه أطروحته الأولى «ثورة الأمير الحديث»، متماهياً مع «عمود السَّما» ـ أي كمال جنبلاط كما يصفه الموحدون الدروز ـ مفسراً أفكاره وطروحاته وفلسفته.

«عمود السَّما ومعمودية الدم» بهذا العنوان، يشرح الكاتب تعاليم «المعلم» وتوجيهاته، في لقاءات الأربعاء الشهيرة التي كانت تجمعه به هو وغيره من الاشتراكيين التقدميين، داعياً إياهم إلى المحافظة على لبنان وقائلاً لهم: «لا تمزقوا لبنان قميص السيد، فالمسيح عقل الأمم لا الحجارة التي رصفتم بها قلوبكم وقبوركم». وبلغة يتداخل فيها الذاتي بالسياسي، يروي خليل بعض المحطات التي مرت بها الجنبلاطية السياسية، وكيفية انتقالها من وريثٍ إلى وريث. وفي هذا السياق، يفنّد الكاتب بعض خلاصاته السياسية التي أدرجت في ميثاق «الحزب التقدمي الاشتراكي» على إيقاع الحكمة القديمة والفلسفة السياسية الحديثة، «فالمعلم كان زعيماً مزدوجاً حديثاً/ تقليدياً يخاطب الخاصة بفكره والعامة بخدماته».

كان الرفيق كمال بك كالرائي والشوّاف، يهجس باكراً بالمتغيرات التي ستحدث في المنطقة. هنا، يستحضر خليل حواراً دار بينه وبين المعلم تمحور حول تداعيات هزيمة 1967. يومها، قال جنبلاط: «الهزيمة هذه أشد من نكبة 1948، هي ليست نكسة كما يُقال تخفيفاً من وطأتها. الردّ عليها سيكون بمقاومة عربية ضارية وطويلة جداً». فهل هي مصادفة تاريخية أن تتقاطع رؤيته تلك مع المشهد العربي الراهن؟ وما معنى المد الإسلامي المقاوم لإسرائيل بعدما تراخت حركات التحرر اليسارية والقومية؟ طبعاً لو لم يستشهد «عمود السّما» باكراً، لقدّم جوابه عن تساؤلنا. لكن موته الذي شعر بدنوّه في 9 آذار (مارس) 1977، منعه من استشراف تحولات الشرق الأوسط الملتهب وانعكاساتها على لبنان.

في قراءته لحياة كمال جنبلاط السياسية، يروي الكاتب أهم الملامح التي طبعت نهجه مع جماعته والجماعات اللبنانية الأخرى، وتحديداً الجنوب المحروم الذي أمده بكل ما أوتي من نفوذ لإخراجه من هذه البوتقة عبر إنشائه المدارس وإرسال النخب العلمية لمتابعة دراستهم في الخارج. برأيه، التقدمية إنما هي ثقافة تفاعل وتشارُك. وعلى الضفة الأخرى، يسرد الكاتب علاقة معلمه مع بعض زعماء لبنان أمثال رشيد أفندي الذي كان يخاطبه بـ«رشو»، وكميل شمعون الذي أسقطه في انتخابات الـ1960 وفؤاد شهاب الذي تحالف معه أربع سنوات قبل أن يفترقا، حين أعلن الجنرال الرئيس عن عدم ثقته بالسياسيّين على خلفية التمديد لولاية ثانية.

> استشرف ولادة المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل

من محرابه، انتقد كمال جنبلاط تجربة العديد من القادة اللبنانيين، لكنه في المقابل كان يهجس بإنشاء نظام مساواتي علماني، سرعان ما انطفأ بعد الموت الفجائي لجمال عبد الناصر. لذلك، كما يشير الكاتب، بدأ يعد العدة مع اليسار اللبناني، والثورة الفلسطينية لإنجاز مشروعه الذي أوصله إلى الشهادة، حين أدرك «أن جسده سيقدم قرباناً على مذبح الوطن، متماهياً مع غاندي وسقراط والمسيح».

بعد رحلته في اكتناه مسيرة جنبلاط السياسية، ينتقل الكاتب إلى الدائرة الأخرى، كاشفاً عن شذرات ذات معلمه، أو ما يسميه «ذات الذات»، العابقة بروحية أدب الحياة، في السلوك والمأكل والعلاقة مع الآخر رغم عدائيته، إلى درجة أنه «قدم نفسه أضحية دون أن يدري على مائدة بناء الدولة الحديثة». في هذه اللحظة التاريخية، يستحضر خليل كيف أنه بعد عودة جنبلاط من جولة على الدول العربية، أخبره الحبيب الشطي وزير الخارجية التونسي في عهد بورقيبة، عن قرار باغتيال جسده، فأجابه «المعلم»: «مسكين باسكال، ظنّ نفسه قصبةً في رياح الكون. أما نحن فسنديان وصخر، ولسنا وحدنا في العالم».

على حدود الأفكار الفلسفية والوجودية والسياسية وتحولاتها، رسم الكاتب حيوات كمال جنبلاط الذي شاركه أهم محطاتها. وفي إشراقه الأخير على درب «دير دوريت» حيث اغتيل على مدخل البلدة في 16 آذار (مارس) 1977، يخط الكاتب انتقال معلمه إلى شاطئ الأبدية، تاركاً للأجيال العابرة إرثاً سياسياً وثقافياً، على إيقاع الفناء في العقل الكلي.

لمحات

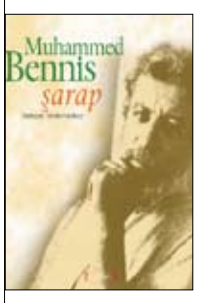

◄ بعدما أصدرت مختارات شعرية موسعة من شعره تحت عنوان «كتاب الحب» العام الماضي، تستعيد «**دار قرمزي**» في اسطنبول أعمال **محمد بنيس** مرّة أخرى. هكذا، أصدرت الدار ترجمةً تركيّة من ديوان الشاعر المغربي «**نبيذ**»، في ترجمة للشاعر التركي متين فندقجي. قدّم المترجم بكلمة ركز فيها على مكانة بنيس في حركة التحديث الشعري، وخصوصية الديوان ضمن الشعر العربي وتقاليد الشعر الأندلسي، وضمن أعمال الشعراء الذين احتفوا منذ القديم بالنبيذ، منذ عمر الخيام.

◄ في كتابه الجديد «**هياج الإوزّ**» (**دار الجمل**)، يدعونا الشاعر والروائي **سليم بركات** إلى مغامرة جديدة مع كتابته الفريدة. صاحب «كل داخل سيهتف لأجلي، وكل خارج أيضاً»، ينطلق من شهادات حقيقيّة لمساءلة صيرورة أوروبا «الإمبراطوريّة الراهنة» أمام واقع المهاجرين، وقدرتهم على تشكيل واقع جديد.

◄ تخيل القصيدة شجرةً وطفاء، أو فراشةً مرفرفة... هذا ما أنجزه **عبد المنعم بن عمر بن حسان الجلياني الأندلسي**، في نصّ فني يجمع التشكيل بالشعر. يضع **كمال أبو ديب** و**دلال بخش** في متناول القارء العربي، أحد إعجازات التراث العربي في «**ديوان التدبيج ـ فتنة الإبداع** وذروة **الإمتاع**» («**دار الساقي**» و«**دار أوركس**»)، إضافة إلى تعليق على حواشيه. كان الجلياني غزير الإنتاج، لكنّ معظم كتبه لم تصل إلينا باستثناء «ديوان التدبيج» وديوان آخر بعنوان «ديوان الحكم».

◄ في «**القدس وحدها هناك...**» (**نوفل**)، يجمع **محمود شقير** قصصاً قصيرة ومكثّفة ليوميات شخصيات عربيّة في القدس، كأنّه يروي «حكاية السكان الأصليين الذين عليهم أن ينقرضوا لكي يلذّ للمستوطنين العيش في البلاد». المؤلف الذي يعيش بدوره في المدينة المحتلّة، يروي قصص قلوب تتأجج فيها الحياة رغم الخوف.

◄ يلتقي المسلمون والمسيحيون على تكريم مريم العذراء. وها هي **حُسْن عبود**، الاختصاصية في الإسلام والفلسفة الإسلاميّة في «جامعة تورنتو»، تقدّم قراءة أدبيّة هي الأولى من نوعها حول رؤية القرآن للأنثوي والأمومي من خلال صورة السيّدة مريم. في «**السيّدة مريم في القرآن الكريم ـ قراءة أدبيّة**» (**الساقي**) تستعرض المؤلفة الشكل الأدبي لـ«سورة مريم»، وتشرح بنيانها وأسلوبها، وتقدّم دراسة لعناصرها الحكائيّة والسرديّة، إضافةً إلى تحليل من منظور «الجندر»... كتاب يفتح باباً جديداً لدراسة النصوص الدينيّة وأبعادها كخطاب وقصّة ومرويّة، إلى جانب طابعها المقدّس.

◄ «كنت في الثامنة عشرة حين فتح الحب عيني بأشعته السحريّة، ولمس نفسي لأول مرة بأصابعه الناريّة...» محبو **جبران** يذكرون بالتأكيد هذه الجملة، وانطلاقاً منها اختار **سليم مجاعص** البحث في يوميات الأديب الراحل ومذكراته، ليكشف لغز تلك الحبيبة الأولى... في «**جنية النبي ـ وثائق ومراسلات حب جبران الأول**» (**كتب**) يتحرّى أحداث وتفاصيل علاقة جبران بالشاعرة جوزفين بيبودي ويوثّقها، على نحو موسع من خلال مراسلات الحبيبين.

شعر

مذاقات فرات إسبر

حسين بن حمزة

في مجموعتها الجديدة «زهرة الجبال العارية» (دار بدايات ـ دمشق)، وهي الثالثة لها بعد «مثل الماء لا يمكن كسرها» و«خدعة الغامض»، تكتب فرات إسبر قصائد لا تبتعد عن الذات ومشاغلها. الشاعرة السورية المقيمة في نيوزيلندا، حاضرة بقوة وكثافة في المجموعة. لكنّ هذا لا يعني أننا سنقرأ ترجمات مباشرة لأجزاء من سيرة شخصية حقيقية أو متخيّلة. ما نتوقّعه من نثريات ومشهديات زائلة، يتضاءل هنا لمصلحة معجم شعري أكثر تنوّعاً. هناك حمولة لغوية أثقل مما نجده في الشعر اليومي الشائع بإفراط لدى أغلب التجارب الشعرية الراهنة. لكن هذا التمايز لا يؤدي إلى تمايز حتمي في الحصيلة الشعرية. القصد أننا نقرأ صوراً وسطوراً ومقاطع منجزة بشعرية لافتة، ونقرأ أشياء أخرى عادية أو أقل شعرية.

الواقع أن هذا التمييز لا يلخِّص الممارسات الشعرية الموجودة في المجموعة كلها، فضلاً عن أن صاحبة المجموعة نفسها لا تضعنا أمام ثنائية أن نُعجب أو لا تُعجب. نحن أمام كتابة شعرية لا تستجيب بسهولة لمعاملة نقدية كهذه، وخصوصاً أنها تجربة مفارقة إلى حدٍّ ما للبديهيات التي تحضر في نتاج أغلب الشاعرات العربيات. معادلة المرأة ـ الرجل ذائبة هنا في كتابة تستحضر عناصر ومكوّنات مختلفة. ربما نقرأ صوراً تتراءى فيها مذاقات أنثوية مثل: «جسدي طائرٌ، وهبتُه لصيادٍ/ مرّ في غابتي» أو «هو الزمان/ ضيِّقٌ/ كخاتم الزواج» أو «غيّرني الحب/ لم أَعُدْ الزهرة/ أو عطارد/ .../ امرأة أنا/ تجوبُ البراري بنعل أحلام صدئٌ». ولكن هذه الصور تضع الأنوثة في فضاء واسع وتمزجها بمناخات وهواجس أبعد من فعل الحب أو افتقاده.

> الغربة والوحدة والخسارة في «زهرة الجبال العارية»

ما يلفت النظر هنا أن القارئ يستطيع أن يحكم على هذا الشعر من زوايا عدّة. ربما تشغله شراسة اللغة وعنفها المكتوم، وهي ترتطم بمعاني الغربة والوحدة والخسارة وفوات الأوان، فيقرأ: «الغابات لا تمشي/ سرقت أقدامها الحرائق» أو «تدحرجْ أيها الحب/ من ها هنا/ من أعالي قلبي». وربما يجتذبه المنفى الوجودي والفلسفي الذي تنضج فيه الكلمات، حيث «الماضي يلهث مثل كلب/ أعطيه المسكنات كي يهدأ»، و«البلاد ضيقة/ والصدر واسع» و«من فمي يخرج دخانٌ كثيف/ الذكريات تتعفّن في الرؤوس». ولعلّه سيتوقف ملياً عند قول الشاعرة: «مِنْ أحسن الطين جُبلتُ»، ليتأمل الخسارات والآلامَ المتلامعة تحته».